مقدمة الكتاب

الحمد الله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً وبعد.

ربما كان عنوان الكتاب هو الاسم الأكثر حيرة في كل ما قد يقف عليه القارئ من مقالات وصور وتعليقات حواها هذا الكتاب المعنون بالاسم الذي حمله الغلاف، والذي قد يبدو كما أسلفت مثيرا للاهتمام ومحفزا على طرح الأسئلة حول المغزى من عنوان الكتاب، أو من هذا الكتاب على وجه الدقة؟

وللقارئ الكريم حقه أن يقف على مقاصد العنوان وأهداف الكتاب الذي هو محطة في سلسلة بناء القارئ الفاعل ذو الشخصيَّة المنفتحة على قيم التعلم المستمر التي افتقدناها بشدة في أوساط الدارسين، بل والمعلمين على نحو مؤسف، وبصورة هددت الحياة العلمية في مجتمعاتنا العربية مع بالغ الأسف والألم.

مخرجات التعليم التي لا تستجيب واحتياجات مرحلة النهوض والتقدم كانت بسبب منظومة ضعيفة، قوامها المنهج التحصيلي والهيئة التعليمية التي لم تعد قادرة على الخروج من أسر ذلك النظام، أو العمل باتجاه تغييره ولو بصورة محدودة.

ولعل أحد أوضح المؤشرات على تراجع مخرجات التعليم هو انخفاض الدافعية للتعلم بشكل عام، والتي لها عشرات المظاهر والصور، من بينها مشهد تمزيق الكتب الدراسية في الشوارع والأرصفة المحيطة بالمدارس، إعلانا عن التخلص من أثقال عام دراسي ناؤوا بحمله، ووجدوه عبئا مزمنا لا يكادون يتخلصون منه حتى يعود فيجثم على صدورهم من جديد، وإلا فكيف نقرأ تمزيق الكتب المدرسية، وتعمد التخلص منها حتى قبل ظهور نتيجة العام وإعلان انتقالهم لسنة دراسية تالية؟

ومنذ كنت طالبة في المدارس وحتى لحظة كتابة هذه السطور وانا اشعر بالصدمة تتجدد كلما رأيت طالبا أو طالبة يتسكعون بجوار مدارسهم ويمزقون الكتب الدراسية، ولسان حالهم يقول:آن وقت الحرية، وأزفت لحظة الانطلاقة التي حرموها أيام المدارس!!

وهذا الكتاب هو محاولة لرصد أبرز أوجه القصور في النظام التعليمي الذي نتج عنه هذا الفراغ الفكري الخطير.

فالطلبة والطالبات هم نتاج سياسة تعليمية، وواقع تربوي طبق عليهم، ما يؤكد الحاجة لتحليل الواقع التعليمي، وقراءته قراءة موضوعية من زوايا مختلفة؛ علها تسهم في تطوير الوعي التربوي لدى من في الميدان، وتدعم تطلعاتهم في الوصول لحالة من التصالح مع القيم الموصلة لتحقيق أهداف التعليم، التي لو عرفت وتم تفعيلها فإن النهايات ستكون وفق المؤمل والمطلوب.

نحن في الألفية الثالثة لا تنقصنا ثرثرة في نقد التعليم وشجب مخرجاته، ولكن تنقصنا رؤية منهجية نصوغ منها أهدافنا، ونشتق منها عناصر البناء والتأثير بعيدا عن النمطية والتقليد واستنساخ الأمراض المزمنة في بيئة التعليم.

"حتى لا تمزق الكتب" محاولة لرصد مواقع الضعف في البنية المؤسسية للمناخ التعليمي الذي يحتاج قطعا لجهود مكثفة في الإصلاح ولكي نصل لمستوى يرضينا ونطمئن فيه على مستقبل أجيالنا الواعدة؛ فلا بد من ان نتفاعل مع فكرة التغيير المنهجي الفاعل وهذا ما يهدف الكتاب لنيله ولو بجهد فردي وعمل لا يكاد يسلم من القصور البشري.

والله أرجو أن تتواصل الجهود لتغيير واقعنا التعليمي وأن نحظى بصور مشرقة، يبادر أصحابها بترجمة فعلية لأفضل الأفكار وأقوى المعاني التي يفتقد إليها الميدان، وينهض بحضورها القوي.

مريم عبدالله النعيمي
الإمارات العربية المتحدة
عجمان
Alnaymiarticle@hotmail.com